

الرجل الذي لم يوقع هو ليس شخصاً فقط.. هو في الجوهر خيار

د. بثينة شعبان: كل الحرب على سورية كان هدفها مصادرة قرارها المستقل بن جدو: لو سقطت سورية لسقط العالم العربي كله

إيمان بركات - تصوير طارق السعدوني



الحضور الرسمي والإعلامي للكتف

ضمن فعاليات معرض الكتاب في مكتبة الأسد الوطنية في دمشق في دورته الحادية والثلاثين عقدت ندوة حول كتاب (الرجل الذي لم يوقع) الصادر عن دار بيسان بالتعاون مع شبكة الميادين، والذي يعرض لتجربة الوثائقي المهم الذي أنتجته وعرضته الميادين ويتناول جوهر الصراع العربي الإسرائيلي، خلال حقبة المفاوضات السورية الإسرائيلية ليعكس حقيقة الحرب على سورية ودورها المحوري، لأن النهج السياسي الذي انتهجه الرئيس الراحل حافظ الأسد، لم يكن رأياً شخصياً، وإنما كان ثقافة بيئية لا تعرف غير العزة والكرامة، وهذا النهج بلغ ذروته مع الرئيس بشار الأسد الذي لم يشأ إلا أن يكون راسخاً في مبادئه وصلباً في مواقفه وبدا ذلك واضحاً في خطاب القسم الأول الذي أنهت فيه المفاوضات الوثائقي حين قال: «إذا كان الإسرائيليون يريدون منا التنازل عن خمسة أمتار أو عشرة فلماذا لا يعطوننا هم خمسة أمتار من الجانب الآخر؟» وتحدث في الندوة الأستاذ الإعلامي غسان بن جدو رئيس مجلس إدارة الميادين مستعرضاً التجربة وجمالياتها، وتحدثت الدكتورة بثينة شعبان المستشارة السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية فشرحت الصدقية العالية لهذا الوثائقي. وذلك في حضور نوعي كثيف وكان بين الحضور وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل ريم القادري، ونائب وزير الخارجية الدكتور فيصل المقداد، وحشد كبير من الكتاب والإعلاميين والمتقنين إضافة إلى الكادر الإعلامي والفني الذي أسهم في إنجاز الوثائقي من شبكة الميادين في دمشق وبيروت.

الوثائقي يعكس نهج العزة والكرامة المستمر بثبات في سياسة الرئيس بشار الأسد

جائزة صدق

وأضافت: لقد كنت أعلم وأنا أكتب أننا قد نواجه مشاكل جمة وتعرض لأشياء كثيرة لأننا نقول الصدق والحقيقة، وأنا أحيي قناة الميادين على الكفاءة والمهنية العالية لأن الحائزة الكبرى التي اعتربت أنني استلمتها في حياتي من دون أن استلمها هي أنني حين شاهدت هذا الوثائقي وشاهدت كل الشهود أصدقاء وخصوماً وأعداء يتحدثون عن ذات المرحلة والأحداث التي تناولناها في الوثائقي وفي الكتابين، ووجدت أن أحداً لم يستطع أن يتنصص حديثاً وروياًها أو جزءاً من محضر اقتبسه، هذه هي جائزة صدق مع الوثيقة، وأشعر بعد إنجاز هذا الوثائقي أننا بحاجة ماسة لإعادة كتابة تاريخنا فهو مليء بالعموميات وتنقصه الدقة، وفي أحيان كثيرة ينقصه التعليقات تقول: لماذا كتبت عن المرأة العربية بهذه الصراحة والبقة وأنت تكتفين للأجانب؟ لماذا لم تصوري بأنه واقع ممتاز؟ لماذا تحدثت عن السليمان ولم تحدثني عن الإيجابيات فقط؟ صعقتني هذه الأسئلة، لأنني كنت أشعر دائماً حينما أقرأ نصاً أنه يقول الحقيقة، ولم يخطر لي أن هناك كاتباً يزيّف الحقيقة أو يتغاضى عن بعض منها أو يروج لأشياء يحبها ويطمس بعض المعالم، كنت أتفقد أن الكاتب حين يضع قلمه على الورقة كأنه يفق بين يدي الله ليقول الحق ولا شيء إلا الحق، وكان هذا أساس معرفتي مع الكتابة، فما بالك إذا كان المجال عن الرئيس الراحل حافظ الأسد وتاريخ سورية وعن هذه الحقبة الإشكالية التي أخذ الغرب والشرق بالصد والرذ عنها، لذلك ترددت كثيراً قبل البدء بكتابي الأول عن الرئيس حافظ الأسد وهو «عشرة أعوام مع الرئيس حافظ الأسد» رغم وفاته عام ٢٠١١ إلا أن الكتاب صدر باللغة الإنكليزية عام ٢٠١٢ وبعدها باللغة العربية عام ٢٠١٢، أخذني وقت طويل لأفكر وأحزم شعاعتي لكتابة هذا الكتاب ولم يكن هذا ممكناً لو لا دعم وتفهم ومساندة السيد الرئيس بشار الأسد.

في حضرة التاريخ

حين كان يأتي الرئيس الخالد حافظ الأسد من لقاءاته ويتحدث عنها، كنت أقول له سيادة الرئيس «هذا يجب أن يكتب ويطلع عليه الناس» فيقول: «سوف يأتي وقت ويطلع الناس على كل شيء»، كان يجلس في حضرة التاريخ ويشعر أن كل مايقوله وكل موقف يأخذه سيكون ملكاً للناس وتتحدث به يوماً ما، وأقول اليوم شيئاً مماذلل للرئيس بشار الأسد حين أرى مواقفه الصلبة وإيمانه العظيم ببلده وتمسكه بالسيادة وكرامة وعزة سورية، أقول إن شعبنا لا يعرف إلا قليلاً عن الرئيس بشار الأسد لأن صلابته وعزته هي فوق ما يتصورون، وحينما أسمع مروجي الطابور الخامس ماذا تفعل إيران وروسيا، أقول هم لا يعرفون أن كل هذه الحرب على سورية هي لمصادرة قرارها المستقل، وكل موقف للسيد الرئيس بشار الأسد من ألفه إلى يائه هو التمسك بهذا القرار المستقل.

وثيقة وطن

وختمت المستشارية السياسية والإعلامية في القصر الجمهوري د. بثينة شعبان: هذا التاريخ هو هويتنا وما سنورثه لأجيالنا القادمة ونفخر به وبني عليه انتصاراتنا في المستقبل، ومن هنا بدأت فكرة «وثيقة وطن» لتسجيل إرث ضائع، لدينا كتون من قصص النساء والضباط والعسكري والأطفال كلها تذهب مع أصحابها، ونحن لا نوقها لتكون تاريخاً يفخر به أبنائنا وأجداننا، وفي الختام التوجه بالشكر لعائلة الشاعر عدنان مردم بك لتقديمهم بيتهم لتقديم هذا الوثائقي.

وفي ختام الندوة قامت د. بثينة شعبان وغسان بن جدو بتوقيع عدد من الكتب حيث احتشد المئات من الحاضرين للحصول على نسخة من «الرجل الذي لم يوقع» الذي يضم الكتاب ونسخة إلكترونية من الوثائقي الذي أصدرته دار بيسان بالتعاون مع الميادين ليكون وثيقة نهج العزة والكرامة في سورية.

بثينة شعبان والتحدى الصعب

«الرجل الذي لم يوقع» هو عمل وثائقي حصري لقناة الميادين، وعن الكتابة والطريقة التي أولمناها لإنجاز هذا العمل قالت المستشارية السياسية والإعلامية في القصر الجمهوري د. بثينة شعبان:

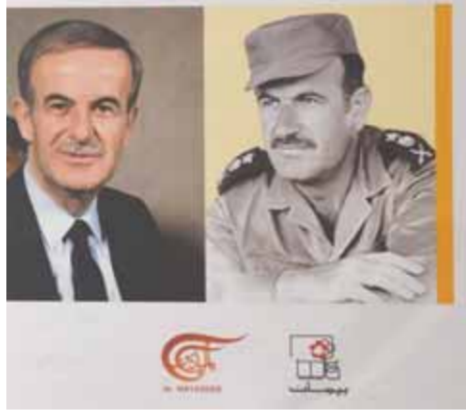
في إحدى المقابلات لصحافة أجنبية فاجأني الصحفي بالقول ماهو التحدي الأصعب الذي واجهته في حياتك؟ فقلت له الورقة البيضاء وعليها القلم هو أكبر تحد، وكل كاتب حقيقي يعرف أن الكلمة والصفحة والسطر الأول هي أصعب ما يمكن أن يكتبه ولكنه أساس العمل. عندما بدأت الكتابة بالثمانينيات وقدمت «النساء العربيات يتحدثن عن أنفسهن» لناشرة إنكليزية، قالت لي هذا الكتاب الذي أحب أن أقرأه لذلك سأوقع معك عقداً، وسعت تعليقات تقول: لماذا كتبت عن المرأة العربية بهذه الصراحة والبقة وأنت تكتفين للأجانب؟ لماذا لم تصوري بأنه واقع ممتاز؟ لماذا تحدثت عن السليمان ولم تحدثني عن الإيجابيات فقط؟ صعقتني هذه الأسئلة، لأنني كنت أشعر دائماً حينما أقرأ نصاً أنه يقول الحقيقة، ولم يخطر لي أن هناك كاتباً يزيّف الحقيقة أو يتغاضى عن بعض منها أو يروج لأشياء يحبها ويطمس بعض المعالم، كنت أتفقد أن الكاتب حين يضع قلمه على الورقة كأنه يفق بين يدي الله ليقول الحق ولا شيء إلا الحق، وكان هذا أساس معرفتي مع الكتابة، فما بالك إذا كان المجال عن الرئيس الراحل حافظ الأسد وتاريخ سورية وعن هذه الحقبة الإشكالية التي أخذ الغرب والشرق بالصد والرذ عنها، لذلك ترددت كثيراً قبل البدء بكتابي الأول عن الرئيس حافظ الأسد وهو «عشرة أعوام مع الرئيس حافظ الأسد» رغم وفاته عام ٢٠١١ إلا أن الكتاب صدر باللغة الإنكليزية عام ٢٠١٢ وبعدها باللغة العربية عام ٢٠١٢، أخذني وقت طويل لأفكر وأحزم شعاعتي لكتابة هذا الكتاب ولم يكن هذا ممكناً لو لا دعم وتفهم ومساندة السيد الرئيس بشار الأسد.

حين قررت الكتابة عن الرئيس الراحل الأسد لم أكن أتوقع أن ما تخفيه محاضر مجالسه يحمل كل هذه الكون من الثقة والمصادقة والجرأة والمحبة والكرامة والعزة، والحقيقة لقد فوجئت في كل هذه المحاضر أن الراحل كان سابقاً لعصره ويفكر لعقود قادمة، وثابت الخطمهما كلف ذلك من ثمن وبلغت المخاطر.

عملية السلام

وتابعت بالقول: كتاب «عشرة أعوام مع حافظ الأسد» كتبتة كسيرة ذاتية، وقد قلت في الكتاب إنني بقيت أفكر وأتفك حتى أتاني الرئيس في الحلم وهي المرة الوحيدة وقال لي لماذا لم تكتبي؟ قلت له: لأنني لا أعرف من أين أبدأ، قال: أريد منك أربعة فصول في هذا الكتاب: سورية والغرب، حافظ الأسد والغرب، حافظ الأسد والرئيس بل كليتون، وحافظ الأسد وعملياتية السلام. وعملياً ما أراد الرئيس حافظ الأسد هو توضيح موقفه من عملية السلام، وهذا هو المنحى الموجود في الوثائقي، وسعت أقوالاً «لخصوصاً حافظ الأسد وهو لا يوثق بهذا الوثائقي»، وهذا قول غير العارفين لأننا أخذنا موضعاً واحداً، وبالتالي هناك عشرات المواضيع يمكن توثيقها عن الرئيس حافظ الأسد، ولكن «عشرة أعوام» و«حافة الهاوية» شكلا الأساس لهذا الوثائقي.

الرجل الذي لم يوقع



مخاطبة الجمهور العربي

وأضاف بن جدو: حرصنا في هذه اللحظة بالتحديد على إبراز سورية التي تستحق أن تفخر بشموخها وشجاعته وعنادها وبسالتها لأنها عُذرت في هذا الزمن. عندما انطلقنا عام ٢٠١١ في قناة الميادين لغاية ٢٠١٥، كنا نمثل أقلية الأثليات في العالم العربي، وليس على المستوى الإعلامي فقط وإنما على مستوى مشروع، والعالم العربي كان منحازاً لخيارات وطرق أخرى، والنخب العربية أيضاً، وخذلتنا النخب القومية العربية وجبت ولم ترفع شعار الحق، وعندما قررنا التحدث عن تجربة الرئيس الراحل حافظ الأسد حرصنا على مخاطبة الشعب السوري لوجود جوانب لا يدركها، ولكن أردنا أيضاً مخاطبة الرأي العام العربي لنقول له: أيها الأجراء إن كان السوري اليوم يحارب ويراد تدميره فليس بسبب شعار الحريات وإنما القضية في قلب أحر.

جيشان لا يفهران

وتابع بالقول: في نهاية عام ٢٠١٣ التقيت الرئيس الفلسطيني محمود عباس في عمان، وكان أتياً للقاء الملك عبد الله، ونقل في مابلي: لقد قدمت للقاء الملك لأنني أود أن أسأله ما الذي دار بينه وبين الرئيس الأميركي أوباما بما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وأجاب الملك: ٩٠٪ من حديث الرئيس أوباما في ذلك اللقاء تحدث عن سورية وليس عن الأردن ومصر وفلسطين، وقال: نحن مذهولون ومصدمون بجيشين في سورية لم يهزأ ولم يتفككا، الجيش الأول هو الجيش العربي السوري، جيش القوات المسلحة، كنا نعتقد أنه سينهار في غضون أسابيع أو أشهر قليلة بسبب الوضع المحلي والإقليمي العالمي الذي لا يسمح لجيش كهذا بالصمود كثيراً ولا سيما أن عشرات الدول دخلت إلى سورية من أجل «إنقاذها» ومواجهة الجيش.

والجيش الثاني الذي فاجأني وهو حديث الاكتشاف ولم يتفكك هو الجيش الدبلوماسي، لم تكن تتوقع هذا الصمود من الدبلوماسية السورية، ولا نعني بالجيش الدبلوماسي وزارة الخارجية فقط وإنما نتحدث عن جيش خارج سورية.

في الحقيقة، حين اطلعت على كتاب د. بثينة شعبان أدركت أن ما تحت في سورية على مدى أربعة عقود هو عبارة عن تجربة راقية ودولة مؤسسات بكل ما للكلمة من معنى، وأن العقيدة الوطنية القومية لم تكن عقيدة وظائفية أو نفعية أو عابرة وإنما عقيدة راسخة متجذرة جعلت من هذين الجيشين وجيش الكوادر والناس والتجار والاقتصاديين والشباب والمتقنين وكل إنسان شارك في الصمود إلى جانب الرئيس بشار الأسد من أجل بقاء سورية والدولة السورية.

قلعة حقيقية

وأضاف رئيس قناة الميادين بن جدو: لو سقطت سورية لسقط العالم العربي كله، لأن سورية لا تمثل نفسها فقط، وكل إنسان دعم سورية لم يساندها من أجل رئيس وإن كان الرجل يستحق مساندة، ولم يساندها

دمشق حاضرة

في البداية تحدث رئيس مجلس إدارة شبكة الميادين غسان بن جدو عن توثيق تلك المرحلة حيث قال: انطلقت فكرة العمل من تجربة د. بثينة شعبان في كتاب «عشر سنوات مع حافظ الأسد» وحداثتها وجوتها عن إمكانية توثيق هذه المرحلة، ولم تكن الصورة واضحة لدينا ما الذي نريد تقديمه، وفي ذلك الوقت رجوت السماح لنا بالتوثيق، وفي نهاية المطاف كان هناك اتفاق إيجابي لتقديم هذا العمل، والحقيقة أن المشاركة السياسية والإعلامية في رئاسة الجمهورية العربية السورية د. بثينة شعبان كلفت لتكون رواية هذه الحقبة، ليس فقط لأنها ألفت الكتاب بل لأنها واكبت جزءاً كبيراً من مرحلة مهمة.

ثقة كبيرة

وتابع بالقول: أنجز هذا الوثائقي في عام واحد، لم يعمل فيه جيش كبير وإنما أربعة أشخاص فقط واكبوا هذا العمل منذ بدايته إلى نهايته: هالة بو صعب المخرجة، زاهر العريضي المعد والمنتج، ومهاب بن جدو وأنا، ولم يكن أحد في قناة الميادين في دمشق يعلم أننا بصدد إنجاز وثائقي عن تلك الحقبة، والشكر الكبير إلى الإعلامية التي عملت معنا بأمانة ولباقة السيدة سعاد قاروط العشي، ورجوتها بمحاورة د. بثينة شعبان دون أن تعرف إلا بعض التفاصيل عن هذا العمل.

إن الحديث عن سورية وعن شخص الرئيس الراحل حافظ الأسد ليس سهلاً، وقد حرصنا في الكتاب على وجود شهود من تلك المرحلة يوثقون الأحداث والحقيقة في هذا الزمن العربي الغار والجبان، ولكن للأسف لم نجد دعماً ولا تعاوناً بالشكل المطلوب من العالم العربي أقولها بكل صراحة، وفي الوقت نفسه، الحمد لله أن البعض لم يشارك في هذا العمل المشرف والعظيم والكبير لأن هذا الزمن لم يعد يستطيع تحمل الغدر والجبن والحقد، والشعب العربي لم يعد يثق به إلا من هو مقدم وشجاع ومفتم ويعرف سبيله.

الصراع العربي الإسرائيلي

لماذا قمنا بهذا العمل؟ في البداية وجاء العنوان عندما قرأت في إحدى الصحف الأميركية مقالاً: «إن حافظ الأسد توفي، ولم يوقع وثيقة سلام مع إسرائيل»، في الحقيقة لغتني العنوان، وأردنا أن يكون العمل مركزاً فالتحدي عن اتجاه أساسي هو الصراع العربي الإسرائيلي من البوابة السورية مع ملامسة كل ما حدث في مصر والأردن وفلسطين ولبنان.

لماذا «الرجل الذي لم يوقع» لأنه الرجل المقاوم والممانع لتسليم أرضه هو رجل السلام بامتياز، نحن نعرف جميعاً أن مفاوضات السلام حكت بين الدول العربية والاحتلال الإسرائيلي، وكان يمكن لدمشق أن توقعها بنفس الطريقة، ولكن ميزة سورية أنها فاوضت بشجاعة، وفي النهاية من أجل بضعة أمتار لم توقع، والجميع يعرف بأن ختام الوثائقي كان بخطاب الرئيس بشار الأسد عندما قال: «إذا كان الإسرائيليون يريدون منا التنازل عن خمسة أمتار أو عشرة فلماذا لا يعطوننا هم خمسة أمتار من الجانب الآخر».



حشد من المهتمين للحصول على نسخة من الكتاب



د. بثينة شعبان والإعلامي غسان بن جدو